اللغة العربية في جزر القمر
واقعها وسبل النهوض بها

د. أحمد محمد طويل
كلية الإمام الشافعي - جامعة جزر القمر

مقدمة

الحمد لله الذي فضل العربية على سائر اللغات، فأنزل بها كتابه المبين، ووعد بحفظه إلى يوم الدين.
والصلاة والسلام على من أعطي جوامع الكلم، أفصح العرب على الإطلاق، نبينا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد، فإن للغة العربية العديد من المميزات التي لا توجد في غيرها من اللغات، فهي من أقدم اللغات التي ما زالت تحتفظ بخصائصها من ألفاظ وتراكيب، مع قدرتها على استيعاب المستجدات والتعبير عن مدارك العلوم المختلفة، كما تتميز بسعة مفرداتها، وبالإعراب الذي يعد من أقوى عناصرها وأقوى خصائصها.

ويجب على أبناء هذه الأمة أن يفتخروا بانتسابهم إلى هذه اللغة الشريفة، فهي مصدر عز وشرف لهم، كما يجب عليهم - حكاما وشعوبا - أن يعملوا على نشرها، وأن يتحدثوا بها في مختلف المحافل الإقليمية والدولية، وأن يدركوا أنه لا عز لهم إلا بالتمسك بها؛ فالأمة تحيا بلسانها لا بلسان غيرها؛ لأن اللغة أساس وحدة الأمة، ومرآة حضارتها.

ومن هذا المنطلق أنوه بجهود حماة العربية وحراسها في هذا الزمان، وهم القائمون على أقسام اللغة العربية في الجامعات المختلفة، وعلى مجامع اللغة العربية، وكذلك المؤسسات المعنية بتنظيم اللقاءات العلمية، من مؤتمرات وندوات علمية، ولقاءات تعزز التواصل بين المختصين بالعربية، وتسهل تبادل الآراء فيما بينهم، ومناقشة واقع العربية ومستقبلها.

وتأتي هذه المشاركة المتواضعة؛ رغبة مني في إلقاء الضوء على واقع اللغة العربية في جزر القمر، مع استشراف مستقبلها، والوقوف على التحديات التي تواجهها، بالإضافة إلى اقتراح جملة من الحلول التي من شأنها أن تسهم في ترقيتها ونهضتها.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع - بالإضافة إلى ما سبق - إلى الأمور الآتية:

- تناوله أوضاع اللغة العربية في بلد عربي يجهله الكثيرون.
- كونه يؤكد أصالة اللغة العربية في جزر القمر، وأنها ليست لغة دخيلة على أهلها.
- إسهامه في تحريك عجلة اللغة العربية في جزر القمر، من خلال بيان العقبات التي تواجهها، واقتراح الحلول لمعالجتها.

أسباب اختياره:

ثمة أمور كثيرة دفعتني إلى كتابة هذا الموضوع، وعلى رأسها ما يلي:

- الرغبة في إلقاء الضوء على واقع اللغة العربية في جزر القمر، واستشراف مستقبلها.
- إبراز التحديات التي تواجه اللغة العربية في جزر القمر، ووضع الحلول الممكنة للتغلب عليها.
- ندرة الدراسات التي تتناول تاريخ اللغة العربية في جزر القمر، فحسب اطلاعي لم أقف على بحث

علمي تناول واقع العربية في جزر القمر ومستقبلها.

محتويات البحث

ومن هنا فإن هذا البحث يشتمل على الأمور الآتية:

- المقدمة.
- لمحة موجزة عن جزر القمر.
- تاريخ دخول اللغة العربية إلى جزر القمر.
- مراحل انتشار اللغة العربية في جزر القمر.
- المؤسسات المعنية بنشر العربية في جزر القمر.
- بعض الشخصيات التي أسهمت بانتشار العربية في جزر القمر.
- عوامل تطور اللغة العربية في جزر القمر.
- العقبات التي تواجه اللغة العربية في جزر القمر.
- نتائج البحث.
- التوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

أسأل الله أن يوفق القائمين على هذا المحفل العلمي، وأن يجزيهم أحسن الجزاء على جهودهم في خدمة العربية وأهلها.

لمحة موجزة عن جزر القمر

جمهورية القمر المتحدة، أو (جزر القمر) قطر إسلامي عربي إفريقي، تقع شرق أفريقيا في قلب المحيط الهندي، في مضيق موزمبيق، إلى الشمال الغربي من جزيرة (مدغشقر)، وإلى الجنوب الشرقي من (تنزانيا)0.

وتتكون من جزر عدة، لكن المأهولة منها أربعة، هي: جزيرة القمر الكبرى التي فيها العاصمة الاتحادية (موروني)، وتعرف باسم (انغازيجا)، تليها جزيرة (هنزواني)، ثم جزيرة (موهيلي) وأخيرا جزيرة (مايوت) التي لا تزال محتلة من فرنسا.

اتفق المؤرخون على أن الإسلام دخل إليها مبكرًا، واختلفوا في تاريخ دخولها، فبعض الدراسات التاريخية تشير إلى أن دخول الإسلام إلى هذه الجزر كان في القرن الثاني الهجري0، ورجح بعض الباحثين0 وصول الإسلام إليها في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني.

وفيما يتعلق باستقلالها فالمعروف أنها استقلت عن فرنسا في السادس من يوليو سنة 1975م، وانضمت إلى المنظمات الدولية والإقليمية، كالأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، والاتحاد الإفريقي، وبنك التنمية الإفريقي، ولجنة المحيط الهندي، والسوق المشترك للشرق والجنوب الإفريقي (الكومسيا).

أما سبب تسميتها بجزر القمر فاختلف المؤرخون في ذلك إلى أقوال عديدة، غير أن الذي يرجحه أكثر الباحثين أن سبب التسمية يعود إلى أن العرب الذين وفدوا إلى هذه الجزر وصلوها والقمر بدرًا منيرًا، فسموها بجزائر القمر0.

تعد جزر القمر من الدول الصغيرة من حيث المساحةُ ومن حيث عددُ السكان، فمساحتها تقدر بحولي (2263) كيلو متر مربع0، أما عدد السكان فيقدر بأقل من مليون نسمة0.

وشعبُ جزر القمر مزيج من أجناس مختلفة، منهم الجنس العربي، الذي قدم من عُمَانَ ومناطق من اليمن، ومنهم الجنس الملايو، وهؤلاء هاجروا إلى جزر القمر من الملايو وإندونيسيا، ومنهم الجنس الإفريقي الذي يعود أصله إلى قبائل البانتو، بالإضافة إلى الشيرازيين الذين وفدوا إليها من بلاد فارس0.

هذه الشعوب امتزجت حتى صارت أمةً واحدة، غير أن التأثير العربي الإسلامي هو المسيطر على مختلف النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية.

تاريخ دخول اللغة العربية إلى جزر القمر:

مما لا شك فيه أن دخول اللغة العربية إلى جزر القمر تزامن مع بداية الهجرات العربية إليها قبل ظهور الإسلام، فالدراسات التاريخية أثبتت وصول مجموعة من العرب إلى هذه المناطق قبل بعثة النبي ، حيث كانت السفن التجارية تصل إلى ساحل شرقي إفريقيا للتجارة في الذهب والعاج والأشجار الطيبة، وغير ذلك، وكان بعض أصحابها يستقرون في هذه الجزر، فيختلطون بالشعوب الإفريقية الأخرى الموجودة فيها0.

وبعد مجيء الإسلام ودخول القمريين فيه ازدهرت وانتشرت، بعد أن أصبح من الواجب على أهل هذه البلاد تعلم مبادئ دينهم، وحفظ القرآن الكريم، وأداء الصلوات الخمس، فحفَّزهم ذلك وشجَّعهم على تعلم اللغة العربية كي يمكنهم من أداء عباداتهم على الوجه المطلوب0.

وبهذا يتبين للقارئ الكريم أن العربية في جزر القمر لغة أصيلة ضاربة في القدم، تزامن دخولها مع بداية الهجرات العربية إليها قبل ظهور الإسلام، ثم انتشر وازدهر بعد مجيء الإسلام ودخول القمريين فيه.

نظرة المجتمع القمري للغة العربية:

لم تحظ لغة من اللغات ما حظيت به العربية في جزر القمر، فقد وجدت عناية فائقة واهتماما شديدا، وذلك على الرغم من محاولات المستعمر وأذنابه طمس معالم العروبة ومحو آثارها في تلك البلاد على مر الأيام والدهور.

ويرجع سبب عناية القمريين باللغة العربية - في نظري - إلى الأمرين الآتيين:

الأول: أنَّ أغلبَ القمريين أصولُهم عربيةٌ، فهم بذلك يشعرون أن حفظهم للغة العربية تمسكٌ بأصلهم.

الثاني: أنَّ دخولَ الإسلام إلى جزر القمر كان مبكرًا، مما شجَّع القمريين على تعلم اللغة العربية كي يمكنهم من إقامة صلواتهم وأداء عباداتهم على الوجه المطلوب.

ومما يؤكد مكانة العربية عند القمريين واعتزازهم بها:

- ما نجده في اللهجة القمرية، من اقتراض الكثير من مفردات العربية، فاللهجة القمرية أكثر كلماتها عربية.
- كتابة اللهجة القمرية بالأحرف العربية قبل مجيء المحتل الفرنسي الذي أجبر الناس على الكتابة باللاتينية.
- تمسك القمريين بالأزياء العربية، كالكمَّة التي تُوضع على الرأس، والدشداشة، والخنجر الذي يضعه الوجهاء، وغير ذلك.
- الاحتفاظ بأسماء قبائلهم العربية إلى وقتنا الحاضر، كآل السَّقَّاف، وآل بكر بن سالم، وآل عديد، وآل جمل اللَّيل، وآل باوزير، وغيرها.
- احترام المجتمع القمري وتقديرهم للتراث العربي، فالدارس للغة العربية يحظى بمنزلة مرموقة، ومكانة عالية في المجتمع.
- إلقاء خطب الجمعة في المساجد بالعربية إلى وقتنا الحاضر.
- طريقة تعليم الأولاد في الكتاتيب، فالتلميذ في جزر القمر يتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب باللغة العربية.
- شيوع الكتابة بالعربية على جدران القصور والمباني الأثرية، والمساجد القديمة، وعلى مداخلها وأبوابها، ومنابر المساجد ومحاريبها.
- أن اللغة العربية من اللغات الرسمية في البلاد، فالدستور الحالي للبلاد ينص على أن العربية لغة رسمية للدولة.
- اعتراف الدولة بالشهادات التي يحصل عليها أبناؤها من الجامعات العربية، ومعادلتها بتلك التي يحصل عليها إخوانهم الدراسون في الجامعات الأخرى.

مراحل انتشار اللغة العربية في جزر القمر

يمكن تقسيم مراحل انتشار اللغة العربية في جزر القمر إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتهيؤ، وذلك في المدة السابقة لوصول الإسلام إلى جزر القمر، عندما هاجر إليها بعض القبائل العربية من عمان وحضرموت، حاملين معهم تجارتهم إلى مناطق ساحل شرقي إفريقيا0.

المرحلة الثانية: مرحلة الازدهار، وتبدأ مع مجيء الإسلام واعتناق القمريين له، فأسست الحلقات العلمية في البيوت والمساجد وفي الكتاتيب لتعليم الناس أمور دينهم، وأضحت العربية لغة الدين والديوان قبل وقوع البلاد تحت المحتل الذي جثم على صدور القمريين ما يربو على قرن ونيف0.

المرحلة الثالثة: مرحلة تأسيس المعاهد والمدارس: وتبدأ مع عودة بعض العلماء القمريين من زنجبار والدول المجاورة في منتصف الستينيات من القرن المنصرم، وما تلاها بعد استقلال البلاد، عندما أخذ القمريون يرسلون أبناءهم إلى الجامعات العربية والإسلامية في مختلف الدول العربية، وبعد عودتهم عكفوا على نشر اللغة العربية، وفتحوا المدارس المختلفة، التي عنيت بتعليمها، منها على سبيل المثال: مدرسة الفتح بـ (إكوني)، ومدرسة البداية بـ (مروني)، ومدرسة الفلاح الإسلامية بـ (مروني)، وكلية الإمام الشافي للعلوم الإسلامية والعربية0.

المؤسسات المعنية بنشر العربية في جزر القمر:

مَا مِن شَكٍّ في أنَّ نشر أية لغة لا يتم إلا بتوافر عناصر وأمور تساعد القائمين على نشرها، وأهم تلك العناصر وجود مؤسسات حكومية أو أهلية تعنى بخدمتها ونشرها، وفي جزر القمر توجد الكثير من المؤسسات المعنية بخدمة العربية وأهلها، وإن كان يعيبها عدم التنظيم والتعاون بين القائمين عليها.

وفيما يلي ذكر لبعض المؤسسات التي تعنى بنشر العربية في جزر القمر:

أولًا: الإدارة العامة للتعليم العربي والإسلامي في وزارة التربية والتعليم الوطنية، مهمتها وضع سياسات ومناهج اللغة العربية والتربية الإسلامية، وتعيين مدرسي اللغة العربية في المدارس الحكومية، بالإضافة إلى الإشراف على البعثات التعلمية التي تفد إلى جزر القمر لتدريس العربية.

ثانيًا: كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية، المؤسسة العليا لتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية في جزر القمر، واللبنة الأولى لإنشاء الجامعة القمرية.

تأسست سنة 2002م، وينص نظامها على أن لغة التعليم وكتابة البحوث هي العربية.

ثالثًا: مدرسة الفتح الإسلامي، الذي أسسها الشيخ محمد شريف في مدينة (إكوني) سنة 1969م، وهي أولى مدرسة إسلامية نظامية في جزر القمر0.

رابعًا: معاهد رابطة العالم الإسلامي، من المعاهد الإسلامية العريقة في جزر القمر، أنشئت في الثمانينيات الميلادية في الجزر الثلاثة، بواقع ثلاث معاهد في جزيرة القمر الكبرى (انغازيجا)، ومعهدين في جزيرة (هنزواني)، ومعهد في جزيرة (موهيلي)0.

خامسا: مدرسة الأخلاق الأهلية، تأسست سنة 1985م في بلدة (أسيفو)، ومؤسسها الشيخ محمد إسلام بوانا، وكانت تعرف سابقًا باسم (مدرسة بث الأخلاق الإسلامية) ثم تحولت إلى الاسم الحالي، ويدرس فيه الطالب من الحضانة إلى الصف الثالث الثانوي.

سادسا: مدارس الإيمان، كبرى المدارس الإسلامية في البلاد، مؤسسها الشيخ صادق امبابانزا سنة 1986م، ويتعلم الطالب فيها من المرحلة الابتدائية إلى الثانوية0.

سابعًا: المراكز التابعة لجمعية العون المباشر الكويتية (لجنة مسلمي أفريقيا) سابقًا، فُتح أول مركز في جزر القمر في منتصف التسعينيات الميلادية، في مدينة (ففوني) بجزيرة القمر الكبرى باسم مركز ابن خلدون، ثم فتح فرع آخر باسم مركز السلام في جزيرة موهيلي سنة 2013م، وفي سنة 2015م فتح فرع آخر في جزيرة هنزواني باسم مركز لَمَى يعقوب الحمد، ويدرس الطالب في هذه المراكز من الحضانة إلى الصف الثالث الثانوي.

ثامنا: معهد الإرشاد، معهد ثانوي في العاصمة موروني، أسسها الدكتور نور الدين باشا سنة 1997م، وهو أول معهد أصدر شهادة ثانوية عربية في جزر القمر، وذلك في عام 2000م0.

تلك أبرز المؤسسات المعنية بنشر اللغة العربية في جزر القمر، وقد أحدثت نقلة نوعية في التعليم العربي، فمنذ تأسيسها وهي تؤدي دورها الريادي في نشر لغة القرآن الكريم، كما أسهمت في تخريج جيل من الشباب القمريين الذين أكملوا دراساتهم في الجامعات العربية والإسلامية، وعادوا إلى الوطن يحملون راية الإصلاح والتنمية الشاملة.

بعض الشخصيات التي أسهمت في انتشار اللغة العربية في جزر القمر:

إن المتتبع لتاريخ جزر القمر يلحظ أمرًا غريبًا، وظاهرة يستحق التوقف حولها، ألا وهي ندرة اللغويين القمريين، فعلى الرغم من تجذر الثقافة الإسلامية العربية في جزر القمر وما عُرِفَ عن علمائها ودورهم في نشر اللغة العربية في شرق أفريقيا إلا أن المطلع على تاريخها لا يجد ذكرًا لهم إلا نادرًا، ولعلَّ هذا يرجع إلى أنَّ المحتلَّ الغاشمَ الذي جثم على صدور القمريين لمدة بلغت قَرْنًا وَنَيِّفًا تَعَمَّدَ إتلاف كلِّ ما من شأنه أن يثبت عروبة هذه الجزر وصلتها بالعالم العربي، فعمل - خلال هذه السنوات - على خلق واقع ثقافي وفكري جديد، من خلال الإعلام ومناهج التعليم.

ومع ذلك استطعت الوقوف على بعض هؤلاء العلماء الذين أغنوا الحياة العلمية والثقافية، وكانت لهم جهود واضحة في نشر اللغة العربية في جزر القمر:

- الشيخ أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن زين بن سميط، ولد ببلدة (إتساندرا) بجزيرة القمر الكبرى سنة 1277هـ، وتوفي في زنجبار سنة 1343هـ، من مؤلفاته: الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج، وتحفة اللبيب، ومنهج الفضائل0.
- الشيخ برهان الدين محمد مكلا المتوفى سنة 1949م، لغوي ومؤرخ وشاعر، أصله من مدينة (إكوني)، سافر إلى زنجبار، وهناك نبغ في علو م العربية، حتى لقب بسيبويه زنجبار، له من المؤلفات: الألفية الواضحة الملقبة بالجواهر المنظمة في النحو، ومرشد الفتيان في علم البيان، وتاريخ جزائر القمر0.
- الشيخ أحمد بن علي بن مسوما الملقب بقمر الدين، ولد سنة 1882م، وتوفي سنة 1974م، له ديوان شعر غير مطبوع، يتضمن أكثر من خمسين قصيدة في الوعظ والمدح والهجاء والرثاء، كما ألف كتاب (المتممة لملحة الإعراب)0.
- الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط، أول من تولى منصب المفتي العام في جزر القمر، ولد سنة 1886م، وتوفي سنة 1976م، علامة في العلوم الشرعية واللغوية، ذاع صيته في شرق إفريقيا، لـه عدة أشعار نظمها في شتى المناسبات الدينية والاجتماعية، من مؤلفاته: النفحة الشذية من الديار الحضرمية، وهدية الإخوان لشرح عقيدة الإيمان0.
- السيد هادي أحمد الهدار الحضرمي، المتوفى سنة 2003م، قدم من مكة المكرمة سنة 1968م مندوبا لرابطة العالم الإسلامي في جزر القمر، ثم عين مستشارا لرئيس مجلس الوزراء للشؤون الثقافية، فأسس مدرسة الفلاح الإسلامية، وكان له دور كبير في التعريف بجزر القمر في المحافل الإسلامية والدولية عبر كتاباته في الصحف والمجلات، ومخاطبة الجهات الرسمية في الدول العربية0.
- العلامة المفتي السَّابق لجزر القمر السيد محمد بن عبدالرحمن، ولد سنة 1912م، وتوفي سنة 1990م، من المؤسسين لمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وكان عضوا في شعبة

الإفتاء، وألَّف العديد من الكتب الشرعية، وبعض القصائد الشعرية في عدد من المناسبات0.

- الشيخ السيد محمد شريف بن أحمد بن شيخ مؤمن، ولد في مدينة (إكوني) سنة 1930م، وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم سافر إلى زنجبار للدراسة، ومنها إلى السودان، وبعد عودته إلى البلاد أسس سنة 1969م مدرسة الفتح الإسلامي، التي كانت اللبنة الأولى للمدارس الإسلامية النظامية في جزر القمر، توفي سنة 2006م0.
- الشيخ محمد إسلام بوانا، مؤسس مدرسة بث الأخلاق الإسلامية، ولد في بلدة (أوسيفو)، وتعلم فيها، ثم التحق بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ودرس فيها حتى حصل على الليسانس، وبعد تخرجه ورجوعه إلى البلاد أسس مدرسة بث الأخلاق الإسلامية، توفي سنة 2019م.
- الدكتور مصطفى الزبَّاخ، أكاديمي مغربي عمل في جزر القمر سبع سنوات مبعوثًا للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، كما ترأس قسم اللغة العربية والتربية في المعهد العالي من (1987 إلى 1991م)، له إسهامات كبيرة في تحريك عجلة اللغة العربية، وفي وضع المناهج العربية، والعمل على إدخال اللغة العربية مادة أساسية في المدارس الحكومية، ومن مؤلفاته: (الحضارة الإسلامية في جزر القمر)0.
- الشيخ صادق مبابانزا، ولد في بلدة (دماجو) بمنطقة همهامي، من أوائل القمريين الدارسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تخرج في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، وَلَمَّا عاد إلى البلاد أسس مدارس الإيمان، التي أصبحت فيما بعد كبرى المعاهد الإسلامية في جزر القمر.
- الدكتور حامد كرهيلا، السفير السابق لجمهورية القمر المتحدة لدى المملكة العربية السعودية، حصل على الشهادة الجامعية الأولى (الليسانس) من كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ثم واصل دراساته العليا في فرنسا، وأكملها بنيل درجة الدكتوراه في جامعة أم درمان الإسلامية.

يعد الدكتور حامد من أهم الباحثين القمريين في العصر الحديث، ومؤلفاته أسهمت بشكل واضح في تنمية الوعي التربوي، والشعور بالانتماء للوطن، وكلها باللغة العربية.

- الدكتور سعيد برهان عبد الله، رئيس اتحاد علماء إفريقيا، وعضو المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي، حصل على الشهادة الجامعية الأولى والماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبعد عودته إلى البلاد عمل على نشر اللغة العربية، فأسس كلية الإمام الشافعي، كما أشرف على الدورات التي نظمتها مؤسسة البابطين الكويتية في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- الدكتور نور الدين باشا، الأمين العام المسابق للرابطة الخيرية القمرية، يحمل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية من جامعة أم درمان الإسلامية، محاضر في كلية الإمام الشافعي بجامعة جزر القمر، المؤسس والمدير الأول لمعاهد الإرشاد الثانوية، باحث وكاتب في صحف ومجلات عديدة.

هؤلاء العلماء ممن أسهموا في نشر اللغة العربية في جزر القمر، وقد تنوعت طريقة خدمتهم لها، فمنهم من أسَّس مدرسة إسلامية، ومنهم من له مصنفات في مختلف العلوم الشرعية واللغوية، وجدير بالإشارة هنا أن مؤلفات هؤلاء العلماء تشهد على علو كعبهم، كما تشهد على أن مستواهم العلمي لا يقل عن المستوى السائد في العالم العربي، كالشيخ برهان مكلا، الذي ذكرنا أنَّ له ألفيةً في النحو العربي، فإن الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد المحقق المصري المعروف لَمَّا اطلع عليها استحسنها وأُعْجِبَ بها، مبينا أنه لو كان مؤلفه مشهورا لدى الأوساط العلمية لوصف الكتاب بأنه كتاب عظيم0.

العقبات التي تواجه اللغة العربية في جزر القمر

تواجه اللغة العربية تحديات كبيرة، فحالها في أوطانها لا يبعث على الاطمئنان، وحالها خارج أوطانها يرثى لها أيضا، ويمكن الجزم بأنه ليس ثمة لغة في العالم تواجه من الأخطار ما تلاقيه العربية، ولولا ما تتمتع به من مقومات ذاتية وقوة ثابتة بكونها لغة القرآن الكريم، ولغة العبادة والصلوات المفروضة على المسلمين، لولا ذلك لدخلت في مجموعات اللغات المنقرضة.

والتحديات التي تواجه العربية في جزر القمر متفاوتة بحسب المناطق والبيئات والأشخاص، وبحسب العوامل المؤثرة داخليا وخارجيا، ويمكن تقسيم هذه العقبات إلى خارجية، وإلى داخلية، وفيما يلي بيان ذلك باختصار:

أولا: العقبات الخارجية، وأعني بها دور المحتل السلبي ومحاربته للغة العربية، فالثابت تاريخيا أن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية في جزر القمر، إلى حين استيلاء المحتل عليها، الذي جعل لغته الفرنسية لغة التعليم والإدارة والمعاملات الرسمية على حساب اللغة الأصلية، وأنشأ المدارس التي عملت على نشر ثقافته في طول البلاد وعرضها، مما أدى إلى اضمحلال العربية وعدم انتشارها وقلة التحدث بها.

ثانيا: العقبات الداخلية، وهذه مصدرها طبيعة البلاد وظروفها، وقد يكون للخارج دور في بعضها، ومن أبرزها:

- بُعْدُ الجزر عن العالم العربي جغرافيًّا، مما أسهم في عزلتها وإيجاد فجوة بينها وبين شقيقاتها.
- قلة العناية بالمدارس التي تدرس باللغة العربية أسوة بالمدارس التي تدرس بالفرنسية.
- أن بعض المدارس التي تعلم بالعربية هي مدارس خاصة، تعلم الطلاب بالمقابل، ومعلوم أن أغلب القمريين فقراء.
- أن لغة التعليم والإدارة والمعاملات الرسمية في الدولة هي الفرنسية، وهذا يفرض على المواطن أن يتعلمها ويتقنها كي يتم توظيفها.
- ندرة التحدث بالعربية في المجتمع، فالتحدث بها في المناسبات قليل جدا.
- عدم وجود خطط واضحة وبيئة أكاديمية حاضنة للعناية باللغة العربية، فالجهود القائمة هي جهود فردية تقوم بها كل مؤسَّسَةٍ على حدة دون أن يكون هناك تنسيق بين المؤسسات المعنية بقضية اللغة العربية في جزر القمر.

عوامل تطور اللغة العربية في جزر القمر:

على الرغم من العقبات التي تواجه العربية في جزر القمر، إلا أن المطلع على واقع الشعب القمري يلحظ تحسنا ملموسا وتطورا كبيرا يجعله مطمئنا على مستقبل هذه اللغة، ففي السنوات الأخيرة أخذت تنمو وتزدهر بسبب مجموعة من العوامل التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- رجوع الكثير من القمريين الدارسين في الجامعات الإسلامية والعربية، وافتتاحهم الكثير من المعاهد التي تعلم العربية.
- تقلد العديد من أبناء الثقافة العربية المناصب القيادية في الدولة.
- الدور الإيجابي الذي تقوم به بعض مؤسسات التعريب، والجمعيات الأهلية التي تعمل على نشر

اللغة العربية في المجتمع القمري.

- فتح عدد من الدول العربية سفاراتهم في الأرخبيل، كدولة ليبيا، والمملكة العربية السعودية، وجمهورية السودان، ودولة قطر، والمملكة المغربية.
- الإقبال الشديد على التعليم العربي، والنُّمُوُّ الكبير في أعداد الملتحقين في المعاهد العربية، وفي كلية الإمام الشافعي.
- إنشاء القسم الأدبي باللغة العربية في منظومة التعليم الثانوي، بقرار من وزير التربية الوطنية عام 2010م.
- إدخال مادة العربية من السنة الأولى بالمرحلة الابتدائية بعد أن كانت تدرس في المرحلتين المتوسطة والثانوية فقط.
- جعل اللغة العربية لغة رسمية في البلاد إلى جانب الفرنسية.
- اعتراف الدولة بالشهادات التي يحصل عليها أبناؤها من الجامعات العربية، ومعادلتها بتلك التي يحصل عليها إخوانهم الدراسون في الجامعات الأخرى.

نتائج البحث:

في ختام هذه الجولة العلمية المباركة أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم صورة واضحة عن واقع اللغة العربية في جزر القمر ومستقبلها، سائلا المولى أن يكون هذا البحث وافيا بالمقصود، نافعا مفيدا لكل من قرأها.

هذا، وقد توصل البحث إلى جملة من النتائج أجملها في يلي:

- أصالة اللغة العربية في جزر القمر، فالعربية دخلت إلى جزر القمر متزامنا مع بداية الهجرات العربية إليها قبل مجيء الإسلام.
- أن الإسلام عامل رئيس في نشر اللغة العربية في جزر القمر والحفاظ عليها.
- أن اعتزاز القمريين بلغتهم نابع من افتخارهم بأصلهم وتمسكهم بدينهم.
- أن بعد جزر القمر عن العالم العربي جغرافيا عزز عزلتها وأدى إلى تراجع العربية فيها.
- أن العقبة الرئيسة التي كانت سببا في تقهقر العربية في جزر القمر هو المحتل الفرنسي.
- أن الواقع يبشر بمستقبل زاهر للغة العربية في جزر القمر، نتيجة لعوامل عديدة.

تلك هي ستة من النتائج التي توصلت إليها، والله أسأل أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يبارك لنا في أعمالنا وفي أولادنا وذرياتنا إنه على كل شيء قدير.

التوصيات:

يجمل بنا - ونحن نتحدث عن واقع العربية في جزر القمر ومستقبلها - وضع بعض المقترحات التي أراها ضرورية كي تتطور هذه اللغة وتنال مكانتها اللائقة في المجتمع القمري، ويعود الأمر إلى ما كان عليه قبل الاحتلال، وأسجلها على شكل نقاط:

الأولى: دعم كلية الإمام الشافعي والمؤسسات التي تعنى بتعليم اللغة العربية بالأجهزة والمختبرات التي

تمكن القائمين عليها من أداء رسالتهم على الوجه الأكمل.

الثانية: زيادة حصص اللغة العربية في المدارس الحكومية والخاصة، وكذلك ساعات البث باللغة العربية في الإذاعة والتلفزيون الوطنيين.

الثالثة: مضاعفة المنح الدراسية للطلبة القمريين في الجامعات الإسلامية والعربية، وتمكينهم من مواصلة الدراسات العليا؛ للحصول على الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية بمختلف تخصصاتها، لندرة المتخصصين فيها في جزر القمر.

الرابعة: إرسال البعثات من الدول العربية لإقامة الدورات العلمية في جزر القمر.

الخامسة: رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي بين الدول العربية وجزر القمر.

السادسة: دعم الباحثين القمريين الذين يكتبون بالعربية، وطباعة مؤلفاتهم كي تسهل قراءتها، ويكون ذلك دافعا لهم وحافزا على التأليف.

السابعة: فتح فروع للجامعات العربية والإسلامية في جزر القمر، تسهيلا للكثير من الطلاب الذين لا يقدرون على السفر إلى الخارج.

الثامنة: دعم جهود القائمين على تعريب اللوحات الإرشادية في الطرقات، واللوحات المعلقة على المحلات التجارية والإدارات الحكومية.

التاسعة: التعاون الجاد والتنسيق المستمر بين المؤسسات التي تعنى بخدمة العربية في جزر القمر، ووضع الخطط التي تنظم أعمالها على الوجه الأمثل، وألا تكون الجهود فردية تقوم بها كل مؤسسة على حدة دون أن يكون هناك تنسيق بينها.

الهوامش